بينهن ابتداع صريح في الظرفية ولان لاح فيه ضمير المونث الغايب فلا يصح تذكيره وان كان مجازيا على المشهور وقوله ولا ارضى انقل ابقالها مشاد ولو جوزناه فيها ليه ما يحصل به الجواب عن السوال الثاني لا عن هذا ولا يصح الجواب عن هذا او الذي قبله باب القلب مثل عرضت الناقة على الحوض ويكون التقدير لاحت بين ابتداع لان القلب لا ينقاس لغة وهذا الشاعر ليس ممن يحتج بقوله واجيب عنه بان المراد تشبيه النجوم بالسنن والدجى بالبدع سواكان الدجى ظرفا ام مظروفا ولا يصح لان رعاية الظرفية هنا مقصودة نعم قد خطر لي في هذا البيت شي حسن لا يخلو عن تكلف لكنه يحل به الاشكال ويعلم انه ليس من قلب التشبيه وا تقدم عليه انقل هذا البيت

رب ليل قطعته كصدود وفراق ما كان فيه وداع
موحش كالثقيل تقذى به العين وتابى حديثه الاسماع
وكان النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع

فهذا الرجل يذكر ليلاً مضى مدلهما شديد السواد واستولت ظلمته على نجومه فسترتها وتخللت وسطها فلم يبق فيه شي من النور الا ترى الى قوله كصدود وفراق ما كان فيه وداع اي ليس فيه شي من النور فلو ان نجومه باقية لكان فيه مثل الوداع الذي يتعلل به قليلا وصفه بانه ظلمة فقط ليس فيه شي من النور ثم قال وكان النجوم بين دجاه سنن اي كان نجومه الكاينة بين الدجى اي التي استولى الدجى عليه وسترها سنن لاح الابتداع بينها اي بين اجزا كل نجم من نجومها فصارت السنن ظرفا والبدع مظروفا لها ساترا لها كما ان الظلمة سترت النجوم واستولت عليها استيلا المظروف وبهذا ظهر انه ليس من قلب التشبيه لان المقصود تشبيه ليله لا تشبيه بدعة ولا يبدع في هذا قوله بعد مشرقات كانهن حجاج تقطع الخصم والظلام انقطاع لان يريد انهن مع كونهن مشرقات غلبت عليها الظلمة فسترتها وقد ذكر المصنف في الايضاح امثلة كثيرة للوجه الخيالي لسلار الاطالة بذكرها فعلم فساد جعله في قولهم النحو في الكلام كالملح في الطعام كون القليل مصلحا والكثير مفسد

لان النحو لا يحتمل القلة والكثرة بخلاف الملح اي لكون وجه المشبه ما تشترك فيه علم فساد جعل الوجه كون القليل مصلحا والكثير مفسدا في قولهم النحو في الكلام كالملح في الطعام اذ القلة والكثرة انما يتصور جريانها في الملح لان قليله ينفع وكثيره يضر بالطعام دون النحو فانه ان وجد انتفع به كرفع الفاعل ونصب المفعول وان لم يوجد لم النحو فهذا حينئذ ليس بوجه لعدم الاشتراك وتفسير على هذا الوجه تقضي بان المانع من المشابهة كون النحو لا يتفاوت بالقلة والكثرة ولكن يمنع ذلك لان النحو متفاوت قطعا وقد يعرف النحوي من الكتب كثيرة لا يعرفها نحوي آخر ويحتمل ان يراد ان التشبيه فاسد لان النحو قليله وكثيره مصلح بخلاف الملح والفساد القلة والكثرة وجها قيل الوجه في التشبيه كون الاستعمال مصلحا والترك مفسدا لكون مشعرا كالبنية والبيه ذهب عبد القاهر وقد يتكلف للاول بان كثرة النحو توجب الاقدام على ما تبين هم قيل النحو جوازه من تقديم وتاخير واضمار فيبقى كبيت الفرزدق السابق ولعل هذا المراد من قول السكاكي وربما امكن تصحيح هذا ولكن ليس مما يهمنا الآن وقيل المراد ان البيت قد يكون له اعاريب فحمله على المعنى المراد بقليل النحو اصلاح وحمله على تلك الاعاريب الكثيرة كثرة مفسدة وقيل لان النحو مقصود لغيره من العلوم فكثرة النحو للعمر مفسدة لتفويتها من العلوم المقصودة بالذات وقيل ليس المراد العلم بل استعمال احكامه في الكلام فان ذلك يشتغل بكثرة تبدله قوله في الكلام وفي الايضاح ومما يتصل بهذا قول القيرواني

عيعجنى وانا المعذب فيكم فكانني سبابة المتندم

فانه اخذه من النابغة في قوله

تكلفني ذنب امري وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وافضل لان سبابة المتندم اول ما يتالم منه فلا يكون المعاقب غير الجاني قلت وقوله اول ما يتالم منه يريد ان سبابة المتندم سالم وهي جانيه وفيه نظر لان سبابة المتندم قد لا تكون جانية بان يكون الندم وقع على فعل قلبي او فعل عضو آخر ولما اتصال الاعضا وجعلها كالشي الواحد مثل ذلك ثم يتبع

Copyright © King Saud University